تحرير المقال

في

الحروف الزائدة في القرآن

والتكرار

الأستاذ الدكتور

أبو عمر نادي بن محمود حسن الأزهري

عميد كلية الدراسات الإسلامية بأسوان

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستهديه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، وأشهد ألاإله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله ﷺ ، وبعد:

فهذا بحث وجيز أتناول فيه قضية تتعلق بكتاب الله العزيز (**الذي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**) **{فصلت: ٤٢}**.

هذه القضية تتمحور حول ماقيل من وقوع حروف زائدة في القرآن وتكرار، وهي قضية دار حولها خلاف بين العلماء – قديماً وحديثاً – ما بين موافق ومخالف، ومنكر لهذا الوصف ومجوز له مع التوجيه... فأحببت أن أكشف النقاب وأميط اللثام عن وجه الحق في هذه القضية، لا سيما أنها أصبحت موضع تساؤل عند كثير من طلبة العلم بالتفسير وغيره ، ونقطة تشكيك في صدق القرآن وإعجازه البياني عند المغرضين الذين جعلوه عرضة لسهامهم المسمومة وشبهاتهم المذمومة.. " **والله من ورائهم محيط** ". وقد سميت البحث بعنوان:

(تحرير المقال في الحروف الزائدة في القرآن والتكرار)

وأسأل الله تعالى السداد في القول، والتوفيق في العمل، والإخلاص في الهدف، إنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير، وصلى الله وسلم على البشير النذير، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول

موقف العلماء من وقوع حروف زائدة فى القرآن

قبل الإبحار بسفينة التأمل فى هذا الموضوع يجدر بى أن أتناول آراء العلماء فى القول بوقوع حروف زائدة فى القرآن الكريم، فأقول وبالله التوفيق: اختلف العلماء فى القول بوقوع الزيادة فى القرآن الكريم، وفى تسميتها، سواء وقعت بالحرف، أم بالفعل؛ فالبصريون يجيزون وقوعها، ويسمونها (زيادة، أو لغواً)، والكوفيون يجيزون أيضاً وقوعها، ويسمونها صلة، أو حشواً [1]. والعلماء فى القول بوقوع الزيادة فريقان: فريق ينفيه كالمبرد[2] وثعلب[3] وابن السراج [4]. قال الشريف الرَّضِى[5]: وأقول: إن لأبى العباس المبرد مذهباً فى جملة الحروف المزيدة فى القرآن، أنا أذهب إليه، وأتْبَعُ نهجه فيه، وهو اعتقاد أنه ليس شيء من الحروف جاء بها القرآن إلا لمعنى مفيد،ولايجوز أن يكون لَقىً مُطَّرَحاً، ولاخالياً من الفائدة صفراً.

(١) الحشو على قسمين : مفيد وغير مفيد والثانى : أن تأتى فى الكلام بألفاظ زائدة ليس فيها فائدة ، وهذا منفى عن القرآن. والمفيد كقوله تعالى : (ثلاثة فى الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة) [البقرة: ١٩٦] ،وإنما قال ذلك فى باب التتميم وهو رفع اللبس وتقرير المعنى فى النفس. انظر: الفوائد المشوق إلى علوم القرآن لابن القيم (ص١٣٩)..

(٢) محمد بن يزيد أبو العباس (ت: ٢٨٦) ،كان إماماً ، علامة ، جميلاً ، وسيماً ، فصيحاً ، مفوهاً ، موثقاً ، له تصانيف كثيرة ، وكان آية فى النحو. سير أعلام النبلاء (٥٧٦/١٣).

(٣) أحمد بن يحى بن زيد ،أبو العباس المعروف ب "ثعلب " (ت: ٢٩١)،كان ثقة متقناً ، من تصانيفه " المصون فى النحو ". بغية الوعاة للسيوطى (٣٩٦/١).

(٤) محمد بن السرى أبو بكر المعروف بابن السراج النحوى (ت: ٣١٦) ،كان أحد العلماء المذكورين بالأدب وعلم العربية ، صحب أبا العباس المبرّد وروى عنه العلم. إنباه الرواه للقفطى (١٤٥/٣).

(٥) الشريف الرَّضِى أبو الحسن محمد بن الطاهر أبى أحمد الحسين بن موسى (ت:٤٠٦) ، له كتاب "معانى القرآن " يدل على سعة علمه. سير أعلام النبلاء (٢٨٥/١٧).

والفريق الثانى: يثبت الزيادة فى القرآن الكريم، وهم أكثر المفسرين والنحاة والفقهاء، قال الطرطوشى(١): والدهماء من العلماء والفقهاء والمفسرين على إثبات الصلات فى القرآن، وقد وجد ذلك على وجه لايسعنا إنكاره، فذُكر كثيراً. (٢).

وهذا الفريق صنفان: صنف يجعل وجود الزوائد كالعدم، ولاشك فى أن هذا قول فاسد لايصح، وهو الذى جعل النافون يشنعون على المثبتين إثباتهم الزيادة فى القرآن ؛ لأنهم يعتقدون أن الزائد ليس له فائدة فى الإعراب ولافى المعنى. ولاشك فى أن الحكم بوجود زيادة فى القرآن الكريم على هذا التعريف لها – وهو: مالاتأثير للمزيد فى الإعراب ولافى المعنى – غير صحيح. وهذا مانقله الفخر الرازى عن أهل التحقيق قولهم: دخول اللفظ المهمل الوضع فى كلام أحكم الحاكمين غير جائز. (٣).

وقال ابن الأثير (٤): من ذهب إلى أن فى القرآن لفظاً زائداً لامعنى له، فإما أن يكون جاهلاً بهذا القول، وإما أن يكون متسمحاً فى دينه واعتقاده. (٥).

وقال ابن يعيش (٦): وقد أنكر بعضهم وقوع هذه الأحرف زوائد لغير معنى ؛ إذ ذلك يكون كالعبث، والتنزيل منزهٌ عن مثل ذلك ". (٧)

---

(١) أبو بكر محمد بن الوليد الطرطوشى الأندلسى (ت: ٥٢٠) ، شيخ المالكية ، عالم الاسكندرية ، القدوة الزاهد الفقيه ، كان ديناً ، متواضعاً ، متقشفاً من الدنيا. سير أعلام النبلاء (١٩/٤٩٠).

(٢) البرهان فى علوم القرآن (٣/١٤٩)..

(٣) انظر : التفسير الكبير للفخر الرازى (٣/٤٠٦)

(٤) ابن الأثير الجزرى أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد (ت:٥٨٥) ، ماهر فى النحو واللغة وعلم البيان ، من مصنفاته " المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر ". بغية الوعاة للسيوطى (٢/٣١٥).

(٥) انظر : إعراب القرآن للدرويش (٢/٨٨).

(٦) موفق الدين يعيش بن على بن يعيش الأندلسى الأصل ، الموصلى ثم الحلبى المولد والنشأة ، كان خطيب الموصل الماهر، وصناعته التصريف (ت:٦٤٣) ، له تصانيف مشهورة منها " شرح المفصل". انظر : البلغة للفيروز أبادى (٢٤٣).

(٧) شرح المفصل (٨/١٢٨).

والصنف الثانى: يجعل الزائد غير مؤثر فى الإعراب فقط، أما فى المعنى فلا يكتفى بإثبات معنىً له،بل يجعل له معنى زائداً فى الجملة عليها لو خلت منه. يقول ابن تيمية: القرآن ليس فيه لفظاً زائداً، إلا لمعنى زائد وإن كان فى ضمن ذلك التوكيد، ومايجىء من زيادة اللفظ فى مثل قوله: (فبما رحمة من الله لنت لهم)[آل عمران:١٥٩]، وقوله: (عما قليل ليصبحن نادمين)[المؤمنون:٤٠] وقوله: (قليلاً ماتذكرون)[الأعراف:٣]، فالمعنى مع هذا أزيد من المعنى بدونه. فزيادة اللفظ لزيادة المعنى، وقوة اللفظ لقوة المعنى (١). وزيادة "ما" بين الباء وعن ومن والكاف ومجرورا‌تها أمر معروف فى اللسان العربى مقرر فى علم العربية (٢).

قال السمين الحلبى:وكأن من يدعى أنها غير مزيدة يفرُّ من هذه العبارة فى كلام الله تعالى، وإليه ذهب أبو بكر الزبيدى(٣) ؛ كأنه لايجوز أن يقال فى القرآن زائد أصلاً. وهذا فيه نظر ؛ لأن القائلين بكون هذا زائداً، لايعنون أنه يجوز سقوطه، ولاأنه مهمل لامعنى له، بل يقولون زائد للتوكيد، فله أسوة بسائر ألفاظ التوكيد الواقعة فى القرآن"(٤).

ومذهب الإمام محمد عبده: عدم زيادة حرفٍ مَّا فى القرآن بلا فائدة، على أن الذين يقولون بزيادة بعض الحروف وبعض الكلمات إنما يعنون زيادتها غالباً بحسب الإعراب، لأنهم يقولون: إن إثباتها وتركها سواء (٥).

ومما سبق يتبين لنا أن سبب الخلاف فى إثبات وقوع الزيادة أو الصلة فى كتاب الله تعالى راجع –ككثير من الأشياء المنفية عن القرآن الكريم كالمجاز مثلاً – إلى الاختلاف فى

---

(١) الفتاوى (٢٩٧/١٦).

(٢) إعراب القرآن للدرويش (٨٨/٢).

(٣) أبو بكر محمد بن الحسن بن عبد الله الزبيدى الإشبيلى النحوى (ت: ٣٧٩) ، كان واحد عصره فى علم النحو وحفظ اللغة ، من مصنفاته " طبقات النحويين ".معجم الأدباء لياقوت الحموى (١٧٩/١٨).

(٤) الدر المصون (٢٤٦/٢) وحاشية الجمل (٣٢٩/١).

(٥) انظر : تفسير المنار(٢٤٣/٤).

تعريف الزائد، فمن عرفه بأنه: " ماليس له أثر فى الإعراب ولا المعنى "، نفى وقوعه. وأما من عرفه بأنه: " مالاأثر له فالإعراب، وله أثر فى المعنى "، أجاز وقوعه، وهوالصحيح، فمما لاشك فيه أن الحرف الزائد لايؤثر فى الإعراب، أما تأثيره فى المعنى فيتضح فى الآيات التى قيل فيها بالزيادة. (١)

وهذه ماقرره العلماء ونقله السيوطى فى إتقانه عن بعضهم، ونصه: " والتحقيق أنه إن أريد بالزيادة إثبات معنى لاحاجة إليه فباطل ؛ لأنه عبث، فتعين أن إلينا به حاجة ؛ لكن الحاجة إلى الأشياء قد تختلف بحسب المقاصد، فليس الحاجة إلى اللفظ الذى عدَّه هؤلاء زيادة كالحاجةإلى اللفظ المزيد عليه، وبه يرتفع الخلاف".

وعقب السيوطى على هذا بقوله: بل الحاجة إليه كالحاجة إليه سواء، بالنظر إلى مقتضى الفصاحة والبلاغة، وأنه لو ترك كان الكلام دونه – مع إفادة أصل المعنى المقصود –أبتر خالياً عن الرونق البليغى، لاشبهة فى ذلك. (٢). فإن القرآن يستثمر دائماً برفق أقلَّ مايمكن من اللفظ فى توليد أكثر مايمكن من المعانى. أجل ؛ تلك ظاهرٌ بارزة فيه كله ؛ يستوى فيها مواضع إجماله التى يسميها الناس مقام الإيجاز. ومواضع تفصيله التى يسمونها مقام الإطناب. ولذلك نسميه إيجازاً كله ؛ لأننا نراه فى كلا المقامين لايجاوز سبيل القصد، ولايميل إلى الإسراف ميلاً ما، ونرى أن مراميه فى كلا المقامين لايمكن تأديتهما كاملة العناصر والحلى بأقل من ألفاظه ولابما يساويها. فليس فيه كلمة إلا هى مفتاحٌ لفائدة جليلة، وليس فيه حرفٌ إلا جاء لمعنى. دع عنك قول الذى يقول فى بعض الكلمات القرآنية إنها: " مقحمة "، وفى بعض حروفه : إنها "زائدة " زيادة معنوية. ودع عنك قول الذى يستخف كلمة " التأكيد" فيرمى بها فى كل موطن يظن فيه الزيادة، ولايبالى أن تكون تلك الزيادة فيها معنى المزيد عليه فتصلح لتأكيده أو لاتكون، ولايبالى أن يكون بالموضع حاجة إلى هذا التأكيد أوْ لاحاجة له به. أجل. دع عنك هذا وذاك، فإن الحكم فى القرآن بهذا الضرب من الزيادة أو شبهها إنما هو

(١) انظر : البرهان فى علوم القرآن (١٤٩/٣) و " نظرات لغوية فى القرآن الكريم" د/صالح العايد (ص١٤٢)ومابعدها ط: كنوز اشبيليا

(٢) البرهان فى علوم القرآن (٤١٣/١) والإتقان (٥٨٣/١-٥٨٤).

ضرب من الجهل – مستوراً أو مكشوفاً – بدقة الميزان الذى وضع عليه أسلوب القرآن [1]. وسئل بعضهم عن التأكيد بالحرف ومامعناه، إذ إسقاطه لايخل بالمعنى ؟ فقال: هذا يعرفه أهل الطباع، يجدون فى زيادة الحرف معنىً لايجدونه بإسقاطه [2]. فالقاعدة العامة التى يجب الاعتماد عليها هى رفض القول بزيادة كلمة أو حرف فى القرآن الكريم دون فائدة ؛ لأنه وهو ذروة البلاغة أسمى من أن يقع فيه حرف مزيد أو كلمة مقحمة لامعنى لها. فإن قيل: إن الزيادة لغرض بلاغى، كان هذا القول دليلاً على الأصالة، واستبعاداً للزيادة ؛ لأن الغرض البلاغى لايتم بغير ماقيل إنه مزيد.

تجنب المفسر إطلاق عبارة الزائد فى كتاب الله تعالى:

وعلى الرغم من القول بوقوع حروف زائدة فى القرآن على سبيل التوكيد وغير ذلك من المعانى والدلالات المصحوبة مع وجود الحرف أو الكلمة الزائدة، إلا أن كثيراً من العلماء استثقل التعبير بالزائد فى كتاب الله تعالى ؛ لما قد يوهم ظاهره من وقوع مالافائدة منه فى القرآن، وكلام الله منزه عن ذلك. ولذا فرَّ بعضهم إلى التعبير بدله بالتأكيد، والصلة، والمقحم. قال الزركشى: والأكثرون ينكرون إطلاق هذه العبارة – الزيادة – فى كتاب الله، ويسمونه بالتأكيد، ومنهم من يسميه بالصلة، ومنهم من يسميه بالمقحم "[3]. وهذا الإطلاق من عبارات البصريين، أما الكوفيون فيسمونه صلة أو حشواً. والأولى اجتناب مثل هذه العبارة فى كتاب الله تعالى ؛ فإن مراد النحويين بالزائد من جهة الإعراب، لامن جهة المعنى. [4]. ويؤيد كلامه مقالة ابن يعيش (ت:٦٤٣): " لأن قولنا زائد، ليس المراد أنه قد دخل لغير معنى البتة، بل يزيد لضرب من التأكيد، والتأكيد معنى صحيح "[5]. فمعنى كونه زائداً أن أصل المعنى حاصل بدونه دون التأكيد ؛ فبوجوده حصل فائدة التأكيد، والواضع الحكيم لايضع الشيء بلا فائدة [6].

(١) النبأ العظيم د/ محمد عبد الله دراز (ص١٢٧) ط: دار القلم .

(٢) الإتقان (٢/٨٤٥). .

(٣) البرهان فى علوم القرآن (٣/١٤٧).

(٤) البرهان فى علوم القرآن (٣/١٤٩).

(١) شرح المفصل (٨/١٢٨-١٢٩).

(٢) البرهان فى علوم القرآن (٣/١٥٠).

ويؤكد الزركشى فى موضع آخر وجوب تجنب إطلاق الزائد على بعض الحروف الواردة فى القرآن، ولايجوز إطلاقه إلا بتأويل كقولهم: الباء زائدة ونحوه، مرادهم أن الكلام لايختل معناه بحذفها ؛ لأنه لافائدة فيه أصلاً، فإن ذلك لايحتمل من متكلم، فضلاً عن كلام الحكيم.. ثم نقل عن الإمام أبى نصر القشيرى(1) قوله: ...
وكثيراً مايقع فى كلامهم إطلاق الزائد على بعض الحروف، ك" ما" فى نحو: (فبما رحمة من الله) [آل عمران: ١٥٩]، والكاف فى نحو: (ليس كمثله شىء)[الشورى: ١١]، ونحوه. والذى عليه المحققون تجنب هذا اللفظ فى القرآن، إذ الزائد مالامعنى له، وكلام الله منزه عن ذلك. وممن نص على منع ذلك من المتقدمين الإمام داود الظاهرى (2).
والذى عليه أكثر النحويين خلاف هذا. (3)
وإن كره اسمها بعضهم، كابن هشام(4) الذى يقول: " وينبغى أن يتجنب المعْرِب أن يقول فى حرف من كتاب الله تعالى: إنه زائد ؛ لأنه يسبق إلى الأذهان أن الزائد هو الذى لامعنى له، وكلام الله منزه عن ذلك "(5). ويلاحظ من كلام الزركشى أن أكثر العلماء ينكرون إطلاق عبارة الزائد فى كتاب الله، بيد أنه فى موضع آخر من البرهان، والسيوطى فى إتقانه نقلا عن بعضهم خلاف ذلك، ونسب هذا البعض جواز إطلاق هذه العبارة للأكثر، ونصه: قال ابن الخشاب (6): اختلف فى جواز إطلاق لفظ الزائد فى القرآن:

---

(٣) أبو نصر القشيرى عبد الرحيم بن أبى القاسم عبد الكريم بن هوازن (ت: ٥١٤) ، إمام الأئمة فى التفسير والأصول ،ومن مصنفاته " التيسير فى التفسير ". طبقات المفسرين للداودى (١/٢٩١).

(٤) أبو سليمان داود بن على البغدادى (ت: ٢٧٠) إمام أهل الظاهر. طبقات الشافعية للسبكى (٢/٤٢).

(٥) البرهان فى علوم القرآن (١/٤١٣-٢/٣١٧) بتلخيص يسير. والإتقان (١/١٢٢٢).

(٦) أبو عبد الله محمد بن يحى بن هشام الأنصارى الخزرجى الأندلسى (ت: ٦٤٦) ، كان رأساً فى العربية ، عاكفاً على التعليم. بغية الوعاة (١/٢٦٧)

(٧) الإعراب عن قواعد الإعراب (ص١٠٨).

(١) أبو محمد عبد الله بن أحمد بن أحمد بن الخشاب (ت: ٥٦٧) ، كان أعلم أهل زمانه بالنحو ، ومامن علم من العلوم إلا وكانت له فيه يد حسنة ، وكان ثقة فى الحديث. معجم الأدباء لياقوت الحموى(١٢/٥٢).

فالأكثرون على جوازه، نظراً إلى أنه نزل بلسان القوم ومتعارفهم ؛ ولأن الزيادة بإزاء الحذف، هذا للاختصار والتخفيف، وهذا للتوكيد والتوطئة. **ومنهم من أبى ذلك وقال**: هذه الألفاظ المحمولة على الزيادة جاءت لفوائد ومعان تخصها، فلا أقضِى عليها بالزيادة. [1]. والظاهر أن مراد ابن الخشاب بالأكثر علماء النحو،وقد وقعت الإشارة إلى ذلك فيما نقله الزركشى عن أبى نصر القشيرى، وأما غيرهم من الفقهاء وعلماء التفسير فأكثرهم ينكرون إطلاق لفظ الزائد فى كتاب الله تعالى، فلا تعارض بين القولين. والذى أُراه صواباً فى هذه القضية تجاوز المفسر لعبارة الزائد أثناء التفسير، صيانة للقرآن عن كل مايوهم ظاهره الانتقاص من مكانته وإعجازه، فليس كل من يقرأ فى التفسير قادراً على استيعاب غرض النحويين وحُسن قصدهم، حيث إنهم لايقولون بأنها زائدة لافائدة منها، وإنما يقولون هى زائدة مؤكدة، فهى واردة لتأدية معنى، لا لغير معنى ، لكن الأولى والأحرى بالمفسر أن يعبر عن تلك الحروف بالتوكيد أو الصلة فقط، دون زائدة، فضلاً عن لغو، أو مقحمة، أو حشو، والله من وراء القصد وهو الهادى إلى سواء السبيل.

نماذج من الحروف التى وُصفت بأنها زائدة.

ونورد هنا بعض الأمثلة من الحروف التى وصفت بأنها زائدة مع أنها ذات أثر معنوى بليغ

يقول الله تعالى فى سورة يوسف: (فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيراً)[آية: ٩٦]، يقول المفسرون والنحويون: "أنْ بعد لمـاَّ زائدة "، مع أن (أن) إذا جاءت بعد (لما) فإنها تؤكد وتضيف إشارة معنوية جديدة. فورود الحرف (أن) بعد (لما) يفيد الإبطاء، أما إذا لم يجىء هذا الحرف بعد (لما) فيفهم أن الفصل وقع على الفور. فقوله: (ولما فصلت العير) يفيد أن الفصل: أى مفارقة البلد وقع على الفور ؛ لأن أهل القافلة يكونون على

---

(٢) البرهان فى علوم القرآن (٤١٣/١) الإتقان (٥٨٣/١-٥٨٤).

شوق للعودة فيفصلون فى سرعة، أما قوله تعالى: (فلما أن جاء البشير) فيفيد أن وصول البشير من مصر أخذ وقتاً طويلاً. [1]

ومثل ذلك قول الله عزوجل يذكر موسى فى سورة القصص: (فلما أن أراد أن يبطش بالذى هو عدو لهما قال ياموسى أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفساً بالأمس)[آية:١٩]، إن وجود أن بعد لما، أفاد بأن موسى –عليه السلام– كان متردداً فى البطش، وأنه أقبل وهو يفكر، خصوصاً وأنه قد وكز رجلاً قبل يومين فقضى عليه ؛ ولهذا استمع إلى الرجل وهو يقول له: " أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفساً بالأمس "، ولو كان موسى مستعجلاً لقتل الرجل قبل أن يكمل مقاله.

ومثل ذلك الحرف (ما) **حين يسبقه (الباء) حرف الجر،** يقول أهل النحو عندئذ: ما زائدة، كما فى قوله تعالى: (فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية)[المائدة: ١٣]، وكقوله عزوجل: (فبما رحمة من الله لنت لهم)[آل عمران:١٥٩]، يقول النحويون: إن (ما) زائدة، بدليل أنك إذا قلت: فبنقضهم ميثاقهم لعناهم، وإذا قلت فبرحمة من الله لنت لهم، ظل المعنى معقولاً. والحق أن "ما" هذه التى وصفوها أنها زائدة تفيد التوكيد وتهويل شأن مابعدها أو تعظيمه، بينما إذا وردت الباء غير متبوعة ب" ما " لم يكن لما وراءها تهويل ولاتعظيم.

وإذن فقوله تعالى: (فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية) فيه توكيد للنقض وتهويل لفظاعته. وقوله تعالى: (فبما رحمة من الله لنت لهم) فيه توكيد للرحمة التى غمرت النبى محمداً –صلى الله عليه وسلم–. كما أن فيه تعظيماً لشأن تلك الرحمة التى هدت النبى محمداً –صلى الله عليه وسلم– إلى اللين بالأمة والرفق فى معاملتها، فكان من ثمار ذلك أن التفت حول النبى الكريم وأحبته وآمنت به، ولولا ذلك لفضت عنه.

وقال ابن الأثير: " ما " وردت تضخيماً لأمر النعمة التى لان بها رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، وهى محض الفصاحة، ولو عرى الكلام منها لم تكن له تلك الفخامة [1].

(١) انظر : روح المعانى للألوسى (٥٤/١٣)حاشية الجمل (٤٨١/٢)"مفتاح الإعراب" لمحمد أحمد مرجان (ص٧٧) ط: محمد على صبيح

وجاء فى البرهان : " ف (ما) فى هذين الموضعين زائدة ؛ إلا أن فيها فائدة جليلة ؛ وهى أنه لو قال: " فبرحمة من الله لنت لهم "، و" وبنقضهم ميثاقهم لعناهم "، جوَّزنا أن اللين والرحمة كانا للسببين المذكورين ولغير ذلك، فلما أدخل (ما) فى الموضعين قطعنا بأن اللين لم يكن إلا للرحمة، وأن اللعن لم يكن إلا لأجل نقض الميثاق) (٢). (وقول النحاة: إن " ما " فى هذه الآية زائدة، إنما يعنون به أنها لاتمنع ماقبلها عن العمل، كما يسمونها فى موضع آخر كافة، أى أنها تكف الحرف العامل عن عمله ؛ كقولك: إنما زيد قائم ف "ما" قد كفت " إن " عن العمل فى "زيد "، وفى الآية لم تمنع عن العمل،ألا ترى أنها لم تمنع الباء عن العمل فى خفض الرحمة) (٣).

- **وهناك حرف فى القرآن الكريم** يأتى فى أوائل بعض الآيات والسور يعبر عنه بعض المفسرين ويقول عنه النحويون: إنه زائد، وهو فى الحقيقة ذو دلالة، ذلك الحرف هو (لا) التى تأتى قبل القسم، كقوله تبارك وتعالى: (لاأقسم بهذا البلد) [البلد:١]، وكقوله: (لاأقسم بيوم القيامة)[القيامة:١]، وكقوله عزوجل: (فلا أقسم بمواقع النجوم)[الواقعة:٧٥]، وكقوله عز من قائل: (فلا أقسم بما لاتبصرون ومالاتبصرون)[الحاقة:٣٨-٣٩]، وكقوله تعالى: (فلاوربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً)[النساء:٦٥] وكقوله: (فلا أقسم برب المشارق والمغارب)[المعارج: ٤٠]، وكقوله: (فلا أقسم بالخنس)[التكوير:١٥]، (فلا أقسم بالشفق)[الانشقاق:١٦]. يقول النحويون: إن لا التى تسبق القسم هى مجرد صلة، أى زائدة. والحق أنها ليست زائدة، وإنما هى نافية نفياً بليغاً للقسم، وهى نفى يفيد إثبات القسم مع إضافة بلاغية يدركها اللبيب. إنك إذا قلت لصديقك: لاأريد أن أقسم لك بالله إنى مانسيت عهدكم. فإن هذه العبارة أغنت عن القسم ؛ لأنها أفادت مايؤكد القسم، وزادت على ذلك أنه لاداعى للقسم ؛ لأن

=

(١) انظر : بدائع الفوائد لابن القيم (١٥٠،١٥١/٢) و"من لطائف التفسير" للشيخ /أحمد فرح عقيلات (٢٩/١)و "إعراب القرآن" للدرويش (٨٨/٢).

(٢) انظر : البرهان فى علوم القرآن (١٥٨/٣).

(٣) إعراب القرآن للدرويش (٨٨/٢).

المقسِم موثوق بصدقه، وموثوق أيضاً بخبره. (جاء فى تأويل مشكل القرآن (ص١٩١-١٩٢): " وأما زيادة (لا) فى قوله (لاأقسم بيوم القيامة)وقوله: (فلاأقسم بالشفق).. فإنها زيدة فى الكلام على نية الرد على المكذبين، كما تقول فى الكلام: " لا والله ماذاك كما تقول "، ولو قلت: " والله ماذاك كما تقول " لكان جائزاً غير أن إدخالك (لا) فى الكلام أولاً أبلغ فى الرد. ". وقيل: إن (لا) نافية،واختلفوا فى هذا النفى، فمنهم من ذهب إلى أنه يفيد نفى أمر سابق قبل القسم، ففى قوله:" لاأقسم بيوم القيامة "، كأنهم أنكرو البعث فقيل: لا، أى: ليس الأمر على ماذكرتم، ثم قيل: اقسم بيوم القيامة [(١)]. وقيل: إنها لتوكيد النفى الذى جاء فيما بعد [(٢)]. الشيخ محمد عبده فى تفسير جزء عمّ (سورة التكوير): " إن (لاأقسم) عبارة من عبارات العرب فى القسم، يراد بها تأكيد الخبر، كأنه فى ثبوته وظهوره لايحتاج إلى قسم. ويقال: إنه يؤتى بها فى القسم إذا أُريد تعظيم المقسم به، كأن القائل يقول: إنى لاأعظمه بالقسم لأنه عظيم فى نفسه"[(٣)]. وذهبت بنت الشاطىء إلى أن القصد من ذلك التأكيد " والتأكيد عن طريق النفى ليس بغريب من مؤلوف استعمالنا، فأنت تقول لصاحبك: لاأوصيك بفلان، تأكيداً للوصية ومبالغة فى الاهتمام بها، كما تقول: لن ألح عليك فى زيارتنا، فتبلغ بالنفى مالاتبلغه بالطلب المباشر الصريح ". [(٤)]. والخلاصة: أنه ليس فى كتاب الله تعالى حرف زائد بلا معنى، فكل حرف وضع لغرض مراد، وهدف مقصود، يعرفه الراسخون فى العلم.

المبحث الثانى

التكــرار فى القـــرآن

مفهوم التكرار فى اللغة: الكاف والراء أصل صحيح يدل على جمعٍ وترديد. من ذلك كررت، وذلك رجوعك إليه بعد المرة الأولى. وكرَّر الشىء تَكْرِيراً، وتَكْرَاراً: أعاده مرة

(١) تفسير الكشاف (٢٩٢/٣)وزاد المسير لابن الجوزى (٤١٥/٨).

(٢) التفسير الكبير للفخر الرازى (١٦٣/١٠)

(٣) الأعمال الكاملة للشيخ محمد عبده (٣٣٠/٥).

(٤) أساليب القسم فى اللغة العربية (ص ١٥٠-١٥١).

بعد أخرى [(١)]. فالتَكْرَار مصدر كرَّر، إذا ردّد وأعاد ؛ وهو " تَفْعَال " بفتح التاء. ، وبكسرها وهو اسم [(٢)].

حقيقة التكرار : أن يأتى المتكلم بلفظ ثم يعيده بعينه سواء كان اللفظ متفق المعنى أو مختلفاً، أو يأتى بمعنى ثم يعيده. وهذا من شرطه اتفاق المعنى الأول والثانى، فإن كان متحد الألفاظ والمعانى فالفائدة فى إثباته تأكيد ذلك الأمر وتقريره فى النفس،وكذلك إذا كان المعنى متحداً. وإن كان اللفظان متفقان والمعنى مختلف فالفائدة من الإتيان به الدلالة على المعنيين المختلفين..

فأقسام التكرار ثلاثة: الأول:

مايتكرر لفظه ومعناه متحد، ومنه قوله تعالى: فقتل كيف قدر * ثم قتل كيف قدر)[المدثر:١٩-٢٠]، وكقوله تعالى: (فلما أن أراد أن يبطش بالذى هو عدو لهما قال ياموسى أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفساً بالأمس إن تريد إلا أن تكون جباراً فى الأرض وماتريد أن تكون من المصلحين)[القصص:١٩]، كرر – أن – فى أربعة مواضع تأكيداً. وقديتكرر القول طلباً لدوام تذكر الإرهاب كما كرر فى سورة الرحمن (فبأى آلآء ربكما تكذبان) [الرحمن:١٣].

والثانى: مايتكرر لفظه ومعناه مختلف، ومنه قوله تعالى: (ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين * ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون)[الأنفال: ٧-٨]، فإن المقصود بقوله: " يحق الحق " بيان إرادته، وبقوله " ليحق الحق – الثانية، لقطع دابر الكافرين ونصر المؤمنين عليهم.

والثالث: مايتكرر معنى لالفظاً، وهوإما أن يكون بين المعنيين مخالفة مَّا أو لايكون كذلك. والذى يكون بينهما مخالفة، إما أن يكون أحدهما أعمّ أو لايكون كذلك.

---

(١) مقاييس اللغة لابن فارس ، والمعجم الوسيط مادة [كر].

(٢) مختار الصحاح مادة [كرر] ، والبرهان فى علوم القرآن (٣/٩٥).

فأما مايكون أحدهما أعمّ، فكقوله تعالى: (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) [آل عمران: ١٠٤]، فإن الدعوة إلى الخير أعم من الأمر بالمعروف، فالمعروف داخل تحت الدعاء إلى الخير ؛ لأن الأمر بالمعروف خاص والخير عام، فكل أمر بالمعروف خير وليس كل خير أمراً بالمعروف ؛ لأن الخير أنواع كثيرة من جملتها الأمر بالمعروف. ففائدة التكرير هاهنا، أنه ذكر الخاص بعد ذكر العام للتنبيه عليه لفضله، فالغرض بهذا زيادة تأكيد الخاص. وأمثال ذلك كثيرة. **والذى لايكون بين المعنيين مخالفة** فكقوله تعالى: (وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم) [التغابن: ١٤]. [١]

فوائد التكرير فى القرآن [٢]: إن تكرار ماتقتضى الحال تكراره أصل من أصول البلاغة، ومقصد من أهم مقاصدها [٣]. وقد غلط من أنكر كونه من أساليب الفصاحة، ظناً أنه لافائدة له ؛ وليس كذلك بل هو من محاسنها، لاسيما إذا تعلق بعضه ببعض ؛ وذلك أن عادة العرب فى خطاباتها إذا أبهمت بشىء إرادة لتحقيقه وقرب وقوعه، أو قصدت الدعاء عليه، كررته توكيداً، وكأنها تقيم تكراره مقام المقسم عليه، أو الاجتهاد فى الدعاء عليه، حيث تقصد الدعاء ؛ وإنما نزل القرآن بلسانهم، وكانت مخاطباته جارية فيما بين بعضهم وبعض، وبهذا المسلك تستحكم الحجة عليهم فى عجزهم عن المعارضة. [٤]. فالتكرير أبلغ من التأكيد، وهو من محاسن الفصاحة، خلافاً لبعض من غلط.

وله فوائد أعظمها: التقرير، وقد قيل: الكلام إذا تكرر تقرر، وقد نبه تعالى على السبب الذى لأجله كرر الأقاصيص والإنذار فى القرآن بقوله: (ولقد وصلنا لهم القول

(١) الفوائد المشوق إلى علوم القرآن لابن القيم (ص١٥٦) بتصرف وتلخيص.
(٢) انظر : البرهان للزركشى (٩٦/٣) والإتقان للسيوطى (٨٤٥/٢).
(٣) تفسير المنار (١٩/١٠).
(١) البرهان فى علوم القرآن (٩٦/٣).

لعلهم يتذكرون) [القصص: ٥١] وقال سبحانه: (وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكراً)[طه: ١١٣] ، وحقيقته إعادة اللفظ أو مرادفه لتقرير معنى؛ خشية تناسى الأول، لطول العهد به.

ومنها: التأكيد ، كما فى قوله تعالى (لاتحسبن الذين يحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب)[آل عمران: ١٨٨]، فتكرار " فلاتحسبنهم ": تأكيد له، والعرب –كما قال الزجاج – إذا أطالت القصة تعيد حسبت ومأأشبهها، إعلاماً بأن الذى جرى متصل بالأول وتوكيد له، فتقول: لاتظنن زيداً إذا جاءك وكلمك بكذا وكذا فلا تظنه صادقاً، فيفيد لاتظنن توكيداً وتوضيحاً [١].

وقال الحسين بن الفضل النيسابورى (ت:٢٨٢): التكرير طرد للغفلة وتأكيد للحجة". وهذا كثير فى كلام العرب وأشعارهم كما يقول الشريف المرتضى فى مجالسه وأماله المسمى " الدرر والغرر"[٢].

-**ومنه ماكان لتعدد المتعلق**: بأن يكون المكرر ثانياً متعلقاً بغير ماتعلق به الأول، وهذا القسم يسمى بالترديد، وجعل منه قوله: (فبأى آلآء ربكما تكذبان)[الرحمن:١٣] فإنها وإن تكررت نيفاً وثلاثين مرة، فكل واحدة تتعلق بما قبلها، ولذلك زادت على ثلاثين، ولو كان الجمع عائداً إلى شىء واحد لما زاد على ثلاثة ؛ لأن التأكيد لايزيد عليها، قاله ابن عبد السلام وغيره. فحق هذا أن يسمى بالتعداد لا بالتكرار ؛ لأنه ليس تكراراً لمجرد التأكيد [٣]. فإن الله تعالى عدَّد فى هذه السورة نعماءه، وذكّر خلقه آلآءه، ثم أتبع كل خَلَّة وصفها ونعمة وضعها بهذه، وجعلها فاصلة بين كل نعمتين لينبههم على النعم ويقررهم بها ؛ كما تقول لمن تتابع فيه إحسانك وهو يكفره وينكره: ألم تكن فقيراً

(٢)روح المعانى (١٥١/٤)
(٣) تفسير التحرير والتنوير (٢٤٦/٢٧).
(١) الإتقان (٢٤٥/٢) تفسير التحرير والتنوير (٢٤٦/٢٧).

فأغنيتك أفتنكر هذا ؟ ! ألم تكن خاملاً فعززتك أفتنكر هذا ؟!. (١). وفى هذا تأكيد ومبالغة فى التقرير.

ويقول ابن تيمية: ليس فى القرآن تكرار للفظ بعينه عقب الأول قط. وإنما فى سورة الرحمن خطابه بذلك بعد كل آية، لم يذكر متوالياً وقد شبهوا مافى سورة الرحمن بقول القائل لمن أحسن إليه، وتابع عليه بالأيادى وهو ينكرها ويكفرها: ألم تك فقيراً فأغنيتك ؟ أفتنكر هذا ؟ ألم تك عرياناً فكسوتك ؟ أفتنكر هذا ؟ ألم تك خاملاً فعرفتك ؟ ونحو ذلك. وهذا أقرب من التكرار المتوالى، كما فى اليمين المكررة وكذلك قصص القرآن ليس فيها تكرار كما ظنه بعضهم (٢). وهذا كثير فى كلام العرب وأشعارهم كما يقول الشريف المرتضى فى مجالسه وأماله المسمى " الدرر والغرر"، **قال مهلهل بن ربيعة يرثى أخاه كليباً**:

على أنْ ليس عِدْلاً من كليب * إذا طرد اليتيم عن الجزور.**

وذكر المصراع الأول ثمان مرات فى أوائل أبيات متتابعة.

وقال الحارث بن عياد:

قَرِّبا مربط النعامة منى * لقحت حرب وائل عن حبال.**

ثم كرر قوله: قَرّبا مربط النعامة منى، فى أبيات كثيرة من القصيد. وهكذا القول فى نظائر قوله: (فبأى آلآء ربكما تكذبان) المذكور هنا إلى آخر السورة (٣)

وإن كان بعضها ليس بنعمة، فذكر النقمة للتحذير نعمة. وقد سئل: أى نعمة فى قوله: (كل من عليها فان)[الرحمن: ٢٦] ؟ فأجاب ابن عبد السلام بأجوبة، أحسنها: النقل من دار الهموم إلى دار السرور، وإراحة المؤمن والبار من الفاجر.

---

(٢) تفسير القرطبى (١٧/١٣٩) وحاشية الجمل (٤/٢٥٤)

(٣) الفتاوى (١٦/٢٩٦).

(٤)تفسير التحرير والتنوير (٢٧/٢٤٦).وتفسير المراغى (٢٧/١٠٩)

وكذا قوله: (ويل يومئذ للمكذبين) فى سورة المرسلات ؛ لأنه تعالى ذكر قصصاً مختلفة، وأتبع كل قصة بهذا القول ؛ فكأنه قال عقب كل قصة: " ويل يومئذ للمكذبين بهذه القصة " . **وكذا قوله فى سورة الشعراء**:(إن فى ذلك لآية وماكان أكثرهم مؤمنين * وإن ربك لهو العزيز الرحيم)[آية:٨-٩] كررت ثماني مرات، كل مرة عقب كل قصة، فالإشارة فى كل واحدة بذلك إلى قصة النبى المذكور قبلها، وماشتملت عليه من الآيات والعبر . **وقال بعضهم: إنما كرر القرآن هذه الآيات فى أول كل قصة وآخرها ؛ لأن هذه القصص قرعت بها آذان أصابها وقر وقلوب غلف، فلم يكن بدٌّ من مراجعتها بالترديد والتكرار لعل ذلك يفتح مغالقها، ويجلو ماتحيفّها من صدأ** [1].

وكذا قوله تعالى فى سورة القمر:(ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر)[آية: ١٧]،قال الزمخشرى: كرر ليجددوا عند سماع كل نبأ منها اتعاظاً،وتنبيهاً أن كلاً من تلك الأنباء مستحق لاعتبار يختص به، وأن يتنبهوا كيلا يغلبهم السرور والغفلة[2] . **ومن أمثلة مايظن تكرار وليس منه، آيات سورة "الكافرون "**، ويحكى أن بعض الزنادقة سأل الحسن بن على –رضى الله عنهما – عن هذه الآية فقال: إنى أجد فى القرآن تكراراً وذكر له ذلك، فأجابه الحسن بما حاصله: إن الكفار قالوا: نعبد إلهك شهراً وتعبد آلهتنا شهراً " فجاء النفى متوجهاً إلى ذلك . والمقصود أن هذه الآية ليست من التكرار فى شىء، بل هى بالحذف والاختصار أليق ؛ وذلك لأن قوله: (لاأعبد ماتعبدون)[الكافرون:١]، إلى آخرها، فإن (لاأعبد ماتعبدون) أى فى المستقبل) ولاأنتم عابدون) أى فى الحال (ماأعبد) فى المستقبل (ولاأنا عابد) أى فى الحال (ماعبدتم) فى الماضى . (ولاأنتم عابدون) أى فى المستقبل (ماأعبد) أى فى الحال. فالحاصل: أن القصد نفى عبادتهم لآلهتهم فى الأزمنة الثلاثة [3].

---

(١) إعراب القرآن للدرويش (١٣٥/٧).

(٢) تفسير الكشاف (٤٣٩/٤).

(١) الفوائد المشوق إلى علوم القرآن لابن القيم (ص١٥٩) والبرهان للزركشى (١٠٥/٣).

التكرار فى قصص القرآن:

قصص القرآن الكريم هو أحسن القصص صدقاً وبلاغة، قال تعالى: (نحن نقص عليك نبأهم بالحق)[الكهف: ١٣]، وقال سبحانه: (نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن) [يوسف:٣]، وإذا كان هناك تكرار فى القرآن للقصة القرآنية الواحدة، فلا يعزبن عن بالنا أن القرآن لم ينزل جملة واحدة، ولكنه نزل منجماً مفرقاً على مدى ثلاث وعشرين سنة، تنزل الجملة منه بحسب الوقائع والأحداث والظروف الطارئة، والقصة الواحدة قد تصلح لكل هذه الظروف ، متسقة معها مراعاة لمقتضى الحال، وذلك هو سر البلاغة التى نزل بها القرآن فى أعلى درجاتها. والنظرة العابرة إلى القصة التى نزلت عدة مرات قد يفهم منها أنها متشابهة متماثلة تماماً، لكن النظر الدقيقة ترينا أن القصة فى موضع يركز فيها على جانب منها، وتكون الجوانب الأخرى تابعة ومكملة ؛ لأن المقام يقتضى إبراز هذا الجانب، بينما تراها فى موضع آخر يركز فيها على جانب معين منها كان فى غيرها من التوابع المكملة، وذلك لاقتضاء المقام له أيضاً، ولذلك قد يهمل فى بعضها لفظ أو يترك تعيين اسم يوجد له داع للذكر، أو التعيين فى مقام آخر، ومن هنا كانت متغايرة وليست متشابهة، بالنظر إلى الجانب الذى كان عليه التركيز فى كل منها (ذلك أن من أغراض التكرار قصد هدف من الأهداف التى يرمى إليها النص فى كل مرة ؛ لأن المناسبة استدعت قصد هذا الهدف. فمن النصوص البيانية ماله عدة أهداف، فيؤتى به فى سياق مّا لهدفٍ منها، وفى سياق آخر لهدف آخر، وفى سياق ثالث لهدف ثالث، وهكذا. فالسياق مثلاً قد يستدعى الاستشهاد بجانب من جوانب قصة موسى مع قومه، فيأتى بلمحات منها أساسيات، مع إبراز مااستدعاه السياق، ليكون شاهداً أو عبرة للموضوع الذى جىء بالقصة من أجله. ثم يأتى سياق آخر فى سورة أخرى، وفيه مايستدعى الاستشهاد بجانب آخر من جوانب قصة موسى مع قومه، فيؤتى بلمحات أساسيات منها، مع إبراز مااستدعاه هذا السياق الثانى، ليكون شاهداً أو عبرة للموضوع الذى جىء بالقصة من أجله. وهكذا

فالقصة الواحدة قد يستشهد بها فى عشرات من المناسبات المختلفة، إذ فيها لكل مناسبة مايصلح شاهداً أو عظة أو عبرة [(١)].

فالذين لايفهمون مبدأ تكامل النصوص القرآنية، ولايجعلونها من القواعد الأساسية لما يتدبرون من كتاب الله تعالى يقعون فى عدة أخطاء:

منها – أنهم لايتنبهون إلى المعنى المضاف الذى اشتمل عليه النص الثانى.

ومنها – أنهم يفرقون بين آيات الله فى كتابه فيفهمونها أشتاتاً، ولايتدبرونها على أساس أنها وحدة مجتمعة، وأن كلاً منها يملأ فراغاً من الموضوع العام لايزاحم فيه غيره.

ومنها – أنهم قد يطبقون بعضها على بعض فيجعلونها مكررات، ويلغون بذلك الدلالات الخاصة التى انفرد بها كل نص،والذى يوقعهم فى هذا الوهم أن إضافة الفكرة الجديدة فى النص الثانى أو الثالث قد استدعت إعادة أصل الموضوع، فهم يغفلون عن الفكرة المضافة فيتصورون أن النص كله تكرار لما سبقه لغرض التأكيد، وقد يعللون ذلك بأغرض تربوية، على أن التأكيد والأهداف التربوية أمور باقية لاتُلْغَى مع فهم الفكرة المضافة فى النص الجديد. وهكذا يفعل المعلم البارع كلما أراد أن يضيف فكرة لدرس سابق. ومن ذلك توزيع القصص القرآنية على نجوم التنزيل، فمنها الموجز، ومنها فوق ذلك حتى المبسوط المطول ، وعلى مراحل من البيان التعليمى، والتربوى، والتوجيهى، وتجزئتها مفرقة فى سور من القرآن متعددة، وضمن مناسبات، كل مناسبة منها تستدعى التنبيه على جانب من القصة القرآنية، تتصل العظة به، أو بيان دينى يوجد فى هذا الجانب من القصة، مايكشف وحدة أصول الرسالات الربانية التى جاء بها الأنبياء والمرسلون، أو يكشف تشابه قلوب الناس ونفوسهم وأنواع سلوكهم، فى مقابلة دعوات الحق التى تخالف أهواءهم، أو تخالف عاداتهم وتقاليدهم، وأنانياتهم، وتعصبهم لما كان عليه الآباء والأجداد، ولما كانوا عليه من قبل أن تأتيهم هداية المرسلين من رب العالمين.

فمن تدبر هذا التوزيع للقصص القرآنية على سور ومراحل من التنزيل، تنكشف له أغراض كثيرة، وغايات عديدة[(٢)].

(١) قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عزوجل ، عبد الرحمن حبنكة (ص٣١٣).

(١) قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عزوجل ، عبد الرحمن حبنكة (ص٦٩-٧٠).

يقول الطاهر بن عاشور: إن القصة تتكرر فى مواضع كثيرة من القرآن، وهى فى كل موضع تشتمل على شىء لم تشتمل عليه فى الآخر، ولها فكل موضع ذُكرت فيه عبرة تخالف عبرة غيره، فمثلاً قصة آدم وإبليس، ذكرها فى سورة البقرة إعلام بمبادىء الأمور، وذكرها فى سورة الكهف تنظير للحال وتوطئة للإنكار والتوبيخ، وقس على ذلك [1].

وقال الألوسى: ذكر هذه القصة هنا –أى فى سورة الكهف – مع ذكرها قبل لايعد تكراراً ؛ لأن ذكرها هنا لفائدة غير الفائدة التى ذكرت لها فيما قبل، وهكذا ذكرها فى كل موضع ذكرت فيه من الكتاب الجليل. ومثل هذا يقال فى كل ماهو تكرار بحسب الظاهر فيه. ولايخفى أن أكثر المكررات ظاهراً مختلفة الأساليب، متفاوتة الألفاظ والعبارات، وفى ذلك من الأسرار الإلهية مافيه فلا يستنزلنك الشيطان). [2]

وقد ذكر القرآن قصة موسى مع فرعون والسحرة فى عدة مواضع من القرآن، يبين فى كل موضع منها من الاعتبار والاستدلال نوعاً غير النوع الآخر، كما يسمى الله ورسوله وكتابه بأسماء متعددة، كل اسم يدل على معنى لم يدل عليه الاسم الآخر، وليس فى هذا تكرار، بل فيه تنوع الآيات، مثل: أسماء النبى –ﷺ- إذا قيل: محمد،وأحمد، والحاشر، والعاقب، والمقفى، ونبى الرحمة، ونبى الملحمة، فى كل اسم دلالة على معن ليس فى الاسم الآخر، وإن كانت الذات واحدة فالصفات متنوعة وكذلك القرآن إذا قيل فيه: قرآن، وفرقان، وبيان، وهدى، وبصائر، وشفاء، ونور، ورحمة، وروح، فكل اسم يدل على معنى ليس هو المعنى الآخر. وكذلك فى الجمل التامة، يعبر عن القصة بجمل تدل على معان فيها، ثم يعبر عنها بجمل أخرى تدل على معان أخر، وإن كانت القصة المذكورة ذاتها واحدة فصفاتها متعددة، ففى كل جملة من الجمل معنى ليس فى الجمل الأخر.

فليس فى القرآن تكرار أصلاً –كما يقول ابن تيمية –. وأما مايذكره بعض الناس من أنه كرر القصص مع إمكان الاكتفاء بالواحدة، وكان الحكمة فيه: أن وفود العرب كانت ترد على رسول الله –ﷺ-، فيقرئهم المسلمون شيئاً من القرآن، فيكون ذلك كافياً، وكان يبعث إلى القبائل المتفرقة بالسور المختلفة، فلو لم تكن الآيات والقصص مثناة متكررة

(٢)تفسير التحرير والتنوير (١٥/٣٤٠).

(٣) تفسير روح المعانى (١٥/٢٩٤)..

لوقعة قصةموسى إلى قوم، وقصة عيسى إلى قوم، وقصة نوح إلى قوم، فأراد الله أن يشهر هذه القصص فى أطراف الأرض، وأن يلقيها إلى كل سمع. فهذا كلام من لم يقدر القرآن قدره (1).

ومن خلال ماسبق يمكن أن نستخلص النقاط التالية:

أولاً: أن مايسمى بالتكرار فى القصص القرآنى ليس بتكرار، وإنما لكل مقام أعيد فيه القصة فائدته وغايته التى يرمى إليها القرآن، ويتضح ذلك لكل من يتأمل الفروق الموجود فى القصة الواحدة من إيجاز وإطناب، وزيادة حروف وحذفها، فلا ريب أن ذلك يدل على إضافات متعددة ودلالات متجددة. جاء فى الإتقان:

أن فى كل موضع زيادة شىء لم يذكر فى الذى قبله، أو إبدال كلمة بأخرى لنكتة،وهذه عادة البلغاء ". وهذا يؤيد ماذهب إليه ابن تيمية بقوله:

قصص القرآن ليس فيها تكرار كما ظنه بعضهم (2). وبناء على هذا ينبغى علىالمفسر أن يتجنب إدعاء التكرار ماأمكنه، كما قال السيوطى (3).

ثانياً: أن فى تكرير قصص الأنبياء مزاياعديدة وفوائد جمّة من أهمها: أن قصص الأنبياء إنما كررت ؛ لأن المقصود بها إفادة إهلاك من كذبوا رسلهم، والحاجة داعية إلى ذلك لتكرير تكذيب الكفار لرسول الله –ﷺ-، فكلما كذبوا أنزلت سورة منذرة بحلول العذاب،كما حلّ على المكذبين،ولهذا قال تعالى فى آيات: (فقد مضت سنت الأولين) [الأنفال: ٣٨]،(ألم يرواكم أهلكنا قبلهم من قرن)[الأنعام: ٦] (4).

ثالثاً: روعى مع التكرار تنوع الأساليب، حتى يكون له وقع أكثر فى النفوس وأمتع للأذهان والعقول، فلو كان التكرار مع اتحاد الألفاظ والعبارات لكان شيئاً من حقه أن يكرر ويردد فحسب، ولكنه مع اختلاف التعابير وتنوع الأساليب مدعاة للتفكير

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٩١/١٩) بتلخيص يسير.
(٢) الفتاوى (٢٩٦/١٦) والإتقان للسيوطى (٨٤٥/٢).
(٣) الإتقان (١٢٢٣/٢).
(١) انظر : البرهان للزركشى (٩٦/٣) والإتقان للسيوطى (٨٤٥/٢).

وخوض العقل واستجماع الخاطر " [١]. ونختم بكلمة قيمة للسيد محمد رشيد رضا فى تفسير المنار نصها: " القرآن ليس كتاباً فنياً فيكون لكل مقصد من مقاصده باب خاص به، وإنما هو كتاب هداية ووعظ ينتقل بالإنسان من شأن من شئونه إلى آ خر، ويعود إلى مباحث المقصد الواحد المرة بعد المرة، مع التفنن فى العبارة، والتنويع فى البيان، حتى لايمل تاليه وسامعه من المواظبة على الاهتداء، يوجز أحياناً بما يعجز كل أحد عن الإتيان بمثله إذا كان المقام يقتضى الإيجاز، ويطنب فى مقام آخر حيث ينبغى الإطناب، وهو معجز فى إطنابه كإيجازه، لالغو فيه ولاحشو، ولكل مقام فيه مقال ينطبق على الحكمة، ويعين على التدبر والتذكر.. [٢]

وعلى كل حال ليس فى القرآن مكرر لافائدة فى تكريره ؛ لأن التكرير غير المفيد هو العى الفاحش والقرآن منزه عنه.

رد شبهة ودحض إفتراء لبعض المستشرقين:

نقل الدكتور جوستاف لوبون عن دائرة المعارف البريطانية تحت مادة " قرآن "، هذه الكلمة: " ليس هناك مهارة أدبية عظيمة واضحة فى التكرر الذى لالزوم له لنفس الكلمات والجمل فى القرآن ". لقد أقحم هذا المستشرق نفسه فى موضع لايجيد الحديث فيه ؛ لأن لكل لغة عُرْفُها ومنهجها وذوقها، وهذا المستشرق وإن أجاد العربية كتابة ونطقاً إلا أن بينه وبين الذوق الأدبى العربى بوناً شاسعاً، ومن هنا وقع فى الخطأ، وماكان له أن يطعن فى أسلوب لغة لم يتذوقها، ولم يدرك أسرارها الجمالية. إن التكرار فى مواقع اللجاج والجحود المتتابع أسلوب مرغوب فيه فى اللغة العربية، ومعروف فيها منذ عهودها الأولى، والقرآن الكريم كتاب العربية الأكبر، وحجتها البالغة، وقمة الإبداع الأدبى فيها، فهو فى الذروة من أساليبها بلاغة وإعجازاً وسحراً، إن الملاحظ فى آى القرآن الكريم أن التكرار أكثر وروداً فى مخاطبة المكيين، وقد كان هؤلاء –لو يعلم

---

(٢) الفوز الكبير فى علم التفسير للدهلوى (ص١٦٠).

(٣) تفسير المنار (٣٥٧/٢).

المستشرقون – غلاظاً جفاة، وهم فى الوقت نفسه أشد العرب فهماً وذكاءً، وأحدُّهم منطقاً وكلاماً، ومقارعتهم وهم كذلك تقتضى مقالاً مناسباً فيه التكرار والتذكير والتغليظ والوعيد، كقوله تعالى بعدكل قصة أو موعظة فى سورة الشعراء: (إن فى ذلك لآية وماكان أكثرهم مؤمنين * وإن ربك لهو العزيز الرحيم)

[آية: ٨-٩]، وقوله تعالى فى سورة القمر: (فكيف كان عذاب ونذر * ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر)[آية: ١٦-١٧] وقوله تعالى فى سورة المرسلات:(ويل يؤمئذ للمكذبين)[آية: ١٥] وقد جاء فى سورة الرحمن قوله تعالى: (فبأى آلآء ربكما تكذبان)[آية: ١٨]أكثر من ثلاثين مرة، ولم يخل هذا التكرار بالمعنى المفهوم ولابالسياق المنظوم، والسر فيه أن كل آية أو اثنين من هذه السورة تضمنت تذكيراً بنعمة من نعم الله السابغة على الناس دنيوية وأخروية، ترغيبية وترهيبية، فناسب أن يكرر فيها هذا التساؤل التذكيرى الذى يذكر الناس، ويَحِجَ الكفور. على أننا نلاحظ مثل هذا التكرر لفاصلة الأناشيد الوطنية والحربية فى سائر اللغات عند كافة الأمم للغاية نفسها: التركيز على معنى خاص مقصود لذاته والتذكير به. فلماذا يعاب على القرآن مالايعاب فى سواها ؟. (١)

❁❁❁

(١) انظر : كتاب " نظرات فى الأسلوب القرآنى " (١٤٣/٢) د/السيد تقى الدين ط: مجلة الأزهر.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين.. وبعد:

فمن خلال هذا البحث المتواضع ظهرت عدة حقائق نسجلها فى سطور.

أولاً: لايوجد فى القرآن حرف زائد، بل كل حرف له وزنه وتقديره ومعناه، والحروف التى يسميها النحويون زائدة، هى زائدة عندهم فى الإعراب، أما فى النظم المعنوى والبلاغى فهى ليست زائدة.

ثانياً: أن القصة القرآنية الواحدة يكون فيها أكثر من موطن عبرة، وأكثر من جانب استشهاد، فلا غرو إذن أن تذكر فى المناسبة التى يراد الاستشهاد لها، أو الموطن الذى يراد الاتعاظ به، وأن يبرز منها مايراد الاعتبار أو الاستشهاد به، ويسلط الضوء عليه. وهذا شأن القصص القرآنى، ترى القصة فى القرآن كأنها تتكرر فى أكثر من موطن، والحقيقة أنها لاتتكرر، ولكن يعرض فى كل موطن جانب منها بحسب مايقتضيه السياق، وبحسب مايراد من مواطن العبرة والاستشهاد.

ثالثاً: على متدبر كلام الله تعالى أن يبحث فى كل نص يبدو له أنه من النصوص المكررة فى القرآن، ليكتشف غرض التكرير إذا كان النص مكرراً حرفياً، وليكتشف فوارق المعانى إذا كان النص مختلفاً ولو بعض الشىء، ولو بكلمة أو حرف فى كلمة، فكثير من النصوص التى يتوهم فيها التكرار هى ليست فى الحقيقة مكررة، ولكنها متكاملة يؤدى بعضها من المعانى المرادة مالايؤديه البعض الآخر، بزيادة بعض الأفكار على أصل الموضوع الذى يراد بيانه، وذلك من جهات مختلفات. والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم.

أهم مصادر البحث

م	الكتاب	المؤلف	الطبعة
١	الإتقان فى علوم القرآن	جلال الدين السيوطى	دار ابن كثير
٢	البرهان فى علوم القرآن	برهان الدين الزركشى	دار الكتب العلمية
٣	تفسيرالتحرير والتنوير	الطاهر بن عاشور	دار سحنون
٤	تفسير الكشاف	جار الله محمود الزمخشرى	دارالكتاب العربى
٥	التفسير الكبير	فخر الدين الرازى	إحياء التراث العربى
٦	تفسير المنار	محمد رشيد رضا	الهيئة العامة للكتاب
٧	تفسير روح المعانى	شهاب الدين محمود الألوسى	الأميرية
٨	شرح المفصل	لموفق الدين ابن يعيش	عالم الكتب بيروت
٩	الفتوحات الإلهية (حاشية الجمل)	سليمان بن عمر العجيلى	مكتبة الصحابة
١٠	الفوائد المشوق إلى علوم القرآن	ابن القيم الجوزية	المكتبة التوفيقية
١١	قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله	عبد الرحمن حبنكة الميدانى	دار القلم
١٢	مجموع الفتاوى	أحمد بن عبد الحليم بن تيمية	دار الوفاء
١٣	من لطائف التفسير	أحمد فرح عقيلات	دار اليقين
١٤	النبأ العظيم	محمد عبد الله دراز	دار القلم
١٥	نظرات فى الأسلوب القرآنى "	د/السيد تقى الدين	ط: مجلة الأزهر ٠
١٦	نظرات لغوية فى القرآن الكريم	د/ صالح العايد	كنوز إشبيليا

فهرس الموضوعات

الموضـــوع	صفحة
مقدمة	١٥
المبحث الأول: الحروف الزائدة فى القرآن	١٦
موقف العلماء من وقوع الحروف الزائدة فى القرآن	١٦
تجنب المفسر إطلاق عبارة الزائد فى كتاب الله تعالى	٢٠
نماذج من الحروف التى وصفت بأنها زائدة	٢٢
حرف فى أوائل السور والآيات يعبر عنه بالزائد	٢٤
المبحث الثاني: التكرار فى القرآن	٢٦
مفهوم التكرار فى اللغة وحقيقته	٢٦
أقسام التكرار	٢٦
فوائد التكرار	٢٧
التكرار فى القصص القرآنى	٣١
رد شبهة ودحض افتراء لبعض المستشرقين	٣٥
الخاتمة	٣٧
أهم مصادر البحث	٣٨
فهرس الموضوعات	٣٩